﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾

[النَّمل: 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقةُ بين تسخير الأجناس لسليمانَ، وحوار النَّملة في وادي النَّمل

لمّا ذكرت الآية السابقةُ أنَّ لكلِّ صنفٍ من جنود سليمان عليه السلام وزَعَةً تردُّ أولاها على أُخراها لتضبط حركتها، وتحفظ وجودها؛ بيَّن في هذه الآية نموذجًا تحقَّقت فيه هذه الوَزَعَة، وهو النَّمل، حيث قالت النَّملة الَّتي لها حقُّ الإمارة على النَّمل لأتباعها: ادخلوا مساكنكم؛ خوفًا عليكم من تحطيم سليمان وجنوده لكم، وهم لا يشعرون.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَادِ﴾: (ودى) ثَلاثُ كَلِماتٍ غَيْرُ مُنْقاسَةٍ؛ الأولَى: ودَى الفَرَسُ ليَضْرِبَ أَوْ يَبولَ: إذا أَدْلَى، ومِنْهُ الوَدْيُ: ماءٌ يَخْرُجُ مِنَ الإنْسانِ كالمَذْيِ[1]، والوادي: اسمُ فاعلٍ مِنْ ودَى يَدي ودْيًا، أيْ: سالَ، فهو وادٍ، ثمَّ أُطلِقَ على المكانِ الَّذي يجتمعُ فيهِ الماءُ، ويسيلُ[2]، ومنهُ سُمِّيَ ما بينَ الجبلينِ واديًا، وجمعُهُ: أوديةٌ[3]، وهو المعنى المُراد في الآية.

2) ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾: (حطم) أصلٌ يدلُّ على كَسْرِ الشَّيءِ[4]، مثل الهشم ونحوه، ثمَّ استُعمِلَ لكلِّ كَسْرٍ مُتَناهٍ، ويقالُ: حَطَمْتُهُ فانحطمَ حَطْمًا، والحُطامُ: ما يتكسَّرُ مِنَ اليُبْسِ، قالَ ﷻ: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ [الزمر: 21][5]، وسُمِّيَتْ جهنَّمُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ودى).
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (ودي).
(3) الراغب، المفردات: (ودي).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (حطم).
(5) الراغب، المفردات: (حطم).

بالحُطَمةِ؛ لأنَّها تَحْطِمُ ما يُرمَى فيها[1]، والمعنى في الآية: لا يكسرنكم سليمان، ويهشمنكم.

﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: (شعر) أَصْلانِ مَعْروفانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُما عَلَى ثَباتٍ، والآخَرُ عَلَى عِلْمٍ وعَلَمٍ[2]، والشَّعَرُ معروفٌ، وجمعُهُ: أشعارٌ، ومنهُ استُعيرَ: شَعَرْتُ كذا، أيْ: علمتُ عِلْمًا في الدِّقَّةِ كإصابةِ الشَّعَرِ، والشعور: العلم الدقيق، ويُطلق على الإدراك بالحواسِّ الخمس، وعلى مبادئ الإدراك، ومعنى قوله: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، يعني: لا يدرون، ولا يعلمون.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حرصُ النَّملةِ على بني جنسها، وبيانُ تحذيرِها ونصحها

في هذه الآية بيانٌ لحرص النَّملة على قومها، وذلك عندما أتَى سليمانُ ﷺ وجُنودُهُ على وادي النَّملِ، قالَتْ نملةٌ: يا أيُّها النَّملُ ادخلوا مساكنَكم، لا يكسرنَّكم، ويقتلنَّكم سليمانُ وجنودُهُ، وهم لا يعلمونَ أنَّهم يفعلونَ ذلكَ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في سياق الآية:

لكلِّ مسير غاية، ولكلِّ غايةٍ فائدةٌ ودلالة

﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾، هي الَّتي يُبتدأُ بها الكلامُ، ومعَ ذلكَ هي غايةٌ لِما قبلَها[4]، وقد اختُلِفَ في المُغَيّا هنا، فقيلَ: هي غايةٌ لشيءٍ مُقدَّرٍ، أيْ: وساروا حتَّى إذا أتَوا، وقيلَ: يُضمَّنُ ﴿يُوزَعُونَ﴾ معنى فعلٍ يقتضي أنْ تكونَ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةً لهُ، أيْ: فهُم يسيرونَ مكفوفًا بعضُهم مِنْ مفارقةِ بعضٍ[5].

(1) السمين، عمدة الحفاظ: (حطم).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شعر).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 439.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 278، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 363.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 218، والسّمين الحلبي، الدُّرُّ المَصون: 8/ 582، وزاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 6/ 384.

دلالةُ ﴿إِذَآ﴾ في السّياق الحكيم:

بيانُ أثرِ ظرف الزَّمان، في ترسيَةِ المعنى المراد

﴿إِذَآ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾ ظرفُ زمانٍ بمعنى (حينَ)، وهو يقتضي فعلَيْنِ بعدَهُ يُشبِهانِ فعلَي الشَّرطِ وجوابِهِ؛ لأنَّ ﴿إِذَآ﴾ مُضمَّنةٌ معنى الشَّرطِ، و﴿إِذَآ﴾ معمولٌ لفعلِ جوابِهِ، وأمّا فعلُ شرطِهِ؛ فهو جملةٌ مضافٌ إليها ﴿إِذَآ﴾، والتَّقديرُ: (حتَّى قالَتْ نملةٌ حينَ أتَوا على وادي النَّملِ)[1].

دلالةُ التَّعبير بجملة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ﴾:

الإتيانُ معبِّرٌ عن يسر الوصول البادي إلى عمق ذلك الوادي

آثر القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالإتيان دون المجيء في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾؛ لما يحمله لفظُ الإتيان من يُسر الوصول والمرور دون عقبات، فجنود سليمان عليه السلام لقوَّتهم وكثرتهم لا يجدون صعوبةً في مرورهم على وادي النَّمل؛ لذلك كان التَّعبير بالإتيان مُصوِّرًا لحالة القوَّة عند جنود سليمان عليه السلام، وحالة الضَّعف عند النَّمل.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي:

تحقُّقُ إتيانِ جنودِ سليمان عليه السلام لوادي النَّمل

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ اللهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾؛ لأنَّ أصلَ ﴿إِذَآ﴾ الجزمُ بوقوعِ الشَّرطِ بعدَها، ولذلكَ يُغلَّبُ لفظُ الماضي معَها؛ لدلالتِهِ على الوقوعِ نظرًا إلى اللَّفظِ نفسِه[2]، ولأنَّ الحديثَ هنا عن أمرٍ ماضٍ قد تحقَّقَ وانقضَى، والعادةُ جاريةٌ باستعمالِ صيغةِ الماضي في روايةِ القصصِ والأحداثِ.

سِرُّ تعديةِ ﴿أَتَوۡاْ﴾ بـ ﴿عَلَىٰ﴾:

بيانُ أنَّ الإتيانَ واقعٌ من فوقٍ، بدلالةِ حرفِ الاستعلاء

الفعلُ (أتَى) في الأصلِ يتعدَّى بنفسِهِ أو بـ (إلى)[3]، وقد عُدِّيَ في قوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ بـ ﴿عَلَىٰ﴾؛ لأحدِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 240.
(2) التفتازاني، المختصر، ص: 270.
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 38.

معنيَيْنِ: **الأوَّل:** أنَّ إتيانَهم كانَ مِنْ فوقُ، فأُتيَ بحرفِ الاستعلاءِ[1]؛ لأنَّهم فيما قيل كانوا محمولينَ على الرّيحِ، فهم مُستعلونَ[2]، أيْ: أتَوا مُستعلينَ على وادي النَّملِ استعلاءَ الرّاكبِ على المركوبِ، ففيهِ استعارةٌ تمثيليَّةٌ أو تبعيَّةٌ[3]، **والثّاني:** أنْ يُرادَ قطعُ الوادي وبُلوغُ آخِرِهِ، مِنْ قولِهم: أتَى على الشَّيءِ؛ إذا بلغَ آخِرَهُ، كأنَّهم أرادوا أنْ يَنزِلوا عندَ مُنْقطَعِ الوادي؛ لأنَّهم ما دامتِ الرّيحُ تحملُهم في الهواءِ لا يُخافُ حَطْمُهم[4]، **والحاصلُ:** أنَّهُ ليسَ المُرادُ بالإتيانِ معنى المجيءِ، بل معنى القَطْعِ[5]، وقيلَ: إنَّ تعديتَهُ بـ ﴿عَلَىٰ﴾؛ لكونِهِ بمعنى المُرورِ[6].

سرُّ الإضافةِ في قولِهِ: ﴿وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾:

كـثرةُ النَّـملِ في هـذا الـوادي، مـبـيـنـةٌ عـن خصوصيَّته

دلَّت إضافة لفظ ﴿وَادِ﴾ إلى النَّمل في قوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ على كثرة نمل هذا الوادي، ولذلك فسَّروا ﴿وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾، بأنَّه وادٍ بالشّامِ كثيرُ النَّملِ[7]، فالإضافةُ لأدنَى مُلابَسةٍ[8]، وقيلَ: يجوزُ أنْ يُرادَ بهِ الجنسُ؛ لأنَّ للنَّملِ شُقوقًا ومسالكَ هي بالنِّسبةِ إليها كالأوديةِ للسّاكنينَ مِنَ النّاسِ[9].

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلنَّمْلِ﴾:

بيانُ سرِّ نسبةِ الـوادي إلى النَّمل السّاكن فيه

الظّاهرُ أنَّ تعريفَ ﴿ٱلنَّمْلِ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾؛ للجنسِ، أي: (حتَّى إذا أتَوا على وادي الجنسِ المُسمَّى بالنَّملِ)[10]، أيْ: على وادٍ يَكْثُرُ فيهِ جنسُ النَّملِ، "والنَّمل اسم جنسٍ

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 355، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 548.
(2) السمين، الدر المصون: 8/ 582.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 363.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 355، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 548.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 363.
(6) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 363.
(7) الزمخشري، الكشاف: 3/ 355، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 157.
(8) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 363.
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 240.
(10) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 364.

معروفٌ، وسُمّي بذلك لاشتقاقِه من التَّنمُّل، وذلك لكثرة حركته أو لكثرة تردُّده، ويُقال: تنمَّل القوم: تفرَّقوا للجمع تفرُّق النَّمل"[1].

دلالةُ التَّعبير بقوله: ﴿قَالَتْ﴾:

بيانُ دورِ هذه النَّملة في اليقظة والرِّعاية والتَّدبير

دلَّ التَّعبيرُ بالقول في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ على أنَّها هي المسؤولة عن موكب هذا النَّمل الَّذي يسرح في هذا الوادي، وفيه دلالة على أنَّها تقوم على رعايتِهم وتدبير شؤونهم وتحذيرهم من الهلاك.

علَّةُ تأنيثِ فعلِ ﴿قَالَتْ﴾:

مراعاةُ صورةِ اللَّفظِ، مبينةٌ عن المراد بجنس النَّملة

اختُلِفَ في سببِ تأنيثِ فعلِ ﴿قَالَتْ﴾، في قولِه سبحانَهُ: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾، فقيلَ: هذهِ النَّملةُ مؤنَّثةٌ حقيقيَّةٌ، بدليلِ لحاقِ علامةِ التَّأنيثِ فعلَها؛ لأنَّ (نملةً) يُطلَقُ على الذَّكرِ وعلى الأنثى، فإذا أُريدَ تمييزُ ذلكَ؛ قيلَ: نملةٌ ذَكَرٌ، ونملةٌ أُنثى[2].

وقيلَ: النَّملُ: اسمُ جنسٍ، واحدُهُ: نملةٌ، بتاءِ الوَحْدةِ، فكلمةُ ﴿نَمْلَةٌ﴾ لا تدلُّ إلّا على فردٍ واحدٍ مِنْ هذا النَّوعِ دونَ دلالةٍ على تذكيرٍ ولا تأنيثٍ، فقولُهُ: ﴿نَمْلَةٌ﴾ مفادُهُ: قالَ واحدٌ مِنْ هذا النَّوعِ، واقترانُ فعلِه بتاءِ التَّأنيثِ جرَى على مراعاةِ صورةِ لفظِهِ؛ لشَبَهِ هائِهِ بهاءِ التَّأنيثِ، وإنَّما هي علامةُ الوَحْدةِ.

على أنَّهُ لا يتعلَّقُ غرضٌ بالتَّمييزِ بينَ أنثى النَّملِ وذَكَرِهِ، بَلْهَ أنْ يتعلَّقَ بهِ غرضُ القرآنِ؛ لأنَّ القصدَ وقوعُ هذا الحادثِ، وبيانُ علمِ سليمانَ، لا فيما دونَ ذلكَ مِنَ السَّفاسفِ[3].

غرضُ تنكيرِ قولِهِ: ﴿نَمْلَةٌ﴾:

بيانُ مكانةِ هذه النَّملةِ الحكيمة، من مجموع النَّمل بالوادي

دلَّ تنكيرُ ﴿نَمْلَةٌ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ على تعظيمها؛ لأنَّها هي المسؤولة، فهي في موضع القيادة لهذا النَّمل، وكأنَّها صارت بهذا

(1) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 15/ 126.
(2) السمين، الدر المصون: 8/ 584.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 241.

الحرص من العَلَميَّة والشهرة بمكانٍ، ويجوز أن يكون التَّنكير؛ لعدم التَّعيين[1]، والمُرادُ منها واحدةٌ مِنَ الجنسِ لا بعينِها[2]، فتكونُ تاءُ ﴿نَمْلَةٌ﴾ للوَحْدةِ[3].

دلالةُ النِّداءِ في جملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾:

التَّنبيهُ لأهمّيَّةِ الكلامِ المُلقَى؛ لاستيعابه والعمل به

جيءَ بالنِّداءِ في قولِ النَّملةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ الآيةَ؛ لِما في النِّداءِ مِنَ الإيقاظِ والتَّنبيهِ لأهمّيَّةِ ما يُتلَى مِنَ الكلامِ الآتي بعدَهُ[4]، ولِما كانت النَّملةُ في مقامِ تحذيرٍ مِنْ خطرٍ عظيمٍ يحيط بالنَّمل، وهذا يستدعي لَفْتَ الانتباهِ قبلَ إلقاءِ الكلامِ.

غرضُ البدلِ في قولِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾:

جيءَ بأسلوبِ الإبدالِ في قولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾ لِما فيهِ مِنَ الإبهامِ، ثمَّ البيانِ المفيدين للتَّشويقِ، وزيادةِ الإيضاحِ المناسبَيْنِ لمقامِ الأمرِ والتَّحذيرِ[5].

دلالةُ التَّعبيرِ بالضَّميرِ في ﴿ٱدْخُلُواْ﴾:

ملمحُ إجراء خطاب النَّمل، مجرى خطاب العقلاء

جاء التَّعبير القرآنيُّ بضمير العقلاء في: ﴿ٱدْخُلُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾، ولم يقل: (ادخُلْنَ)؛ لأنَّ النَّملة لمّا جُعِلَتْ قائلةً، وجُعِلَ النَّملُ مَقولًا لهُم، كما يكونُ في العُقَلاءِ؛ أُجريَ خطابُهنَّ مُجْرَى خطابِ العقلاء[6]، وكذلكَ جاء الضَّمير في قوله ﷻ: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾[7]، وقيلَ: كأنَّها لمّا رأَتْ سليمانَ وجُنودَهُ مُتوجِّهينَ إلى الوادي؛ فرَّتْ منهُم، فصاحَتْ صيحةً تنبِّهُ بها ما بحضرتِها مِنَ النَّملِ لمرادِها، فتبعَها في الفرارِ، فشُبِّهَ ذلكَ بمخاطَبةِ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 364.
(2) ابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 264.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 172.
(4) السيوطي، الإتقان: 3/ 184.
(5) السيوطي، الإتقان: 3/ 184.
(6) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 597.
(7) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 220.

العُقَلاءِ ومُناصَحتِهم، فأُجْروا مُجْراهم حيثُ جُعِلَتْ هي قائلةً، وما عداها مِنَ النَّملِ مَقولًا لهُم، حيثُ قيلَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾[1]، فيكونُ الكلامُ خارجًا مخرجَ الاستعارةِ التَّمثيليَّةِ، ويجوزُ أنْ يكونَ فيهِ استعارةٌ مَكنيَّةٌ[2]، والظّاهرُ هو الأوَّلُ.

دلالةُ الأمرِ في جملة: ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾:

الظّاهرُ أنَّ الأمرَ في قولِ الحقِّ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾؛ للوجوبِ؛ لأنَّهُ هو الأصلُ، ولا صارفَ عنهُ، والمقامُ يقتضيهِ؛ لأنَّهُ مقامُ أمرٍ بالهربِ مِنْ خطرٍ عظيمٍ، ومن دلالة التَّعبير بالأمر في قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ أنَّ النَّملة نصحتْ، وأسمعت النَّمل بنفسها، ويكون في هذا الإسماع خرقٌ للعادة؛ لأنَّ النَّمل الذي يملأ الوادي إسماعُهُ بصوت واحد يكون من العجب العجاب، وفيه إشارة إلى أنَّ للنَّمل لغةَ تَخاطُبٍ يميِّز فيها بين حالة الخوف وحالة الأمن، ولا يتأتّى ذلك إلّا بإلهام اللّه تعالى له، وصدق اللّه الذي قال: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: 50]، وفيه تعليمٌ للأُمم أن تُحافظ على رعاياها، وأن تأخذ التَّدابيرَ اللّازمة للحفاظ عليها، كما حافظت النَّملة على أتباعها.

التَّعبيرُ بالأمر للوجوبِ؛ لتوخّي الهرب والحذر المطلوب

سِرُّ التَّعبيرِ بلفظ ﴿مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ دون (بيوتكم):

آثرَ القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالمساكن دون البيوت؛ لأنَّ المساكن مأخوذةٌ من مادَّة (سكن)، وهي تدلُّ على ثبوت الشَّيء بعد تحرُّكه، وهذا مناسب لحركة النَّمل بعد تحذيره من تحطيم سليمان وجنوده بأن يكون في موضع الأمن والهدوء؛ لأنَّ من معاني السَّكن إزالةَ الخوف وزواله؛ بخلاف لفظ (بيت) الذي يُستعمل في مكان المبيت ليلًا، أمّا ما قالته النَّملة للنَّمل؛ فواضحٌ أنَّه كان نهارًا، وليس ليلًا،

أمرُ النَّملِ بدخول المساكن، يشير إلى أنَّهم كانوا خارجها

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 157، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 278.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 171.

ويُؤكِّد ذلك التَّعبير بلفظ ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾؛ فالدُّخول لا يكون إلّا بعد خروج النَّمل من مساكنهم.

سِرُّ الإضافةِ في قولِهِ: ﴿مَسَٰكِنَكُمۡ﴾:

بيانُ أنَّ للنَّملِ بيوتًا ومساكنَ، ومجالًا للكَسْبِ والمعيشة

الإضافةُ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾؛ للتَّمليكِ، وهي تدلُّ على أنَّ للنَّملِ بيوتًا ومساكنَ، ومجالَ معيشةٍ وكَسْبِ أرزاقٍ؛ لذلكَ تجدُهُ يتتبَّعُ مواضعَ الطَّعامِ والفضلاتِ، ويدخلُ إليها مِنْ أضيقِ الأماكنِ[1]، وفيه دلالةٌ على صناعة النَّمل لمساكنها بشكلٍ يُدلِّل على الإلهام، الذي أودعه الله في عالم النَّمل؛ لأنَّه منه ما هو للسَّكن، ومنه ما هو للتَّخزين.

سِرُّ استعمال (أل) في المنادى:

بيانُ أنَّ في نداء النَّمل مساواةً دون تمييزٍ

دلَّ استعمال (أل) في نداء النَّمل بقولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ﴾، دون أن تقول: (يا نمل) بالنَّكرة، أو (يا بعض النَّمل)، على أنَّ نداءها فيه مساواة لجميع النَّمل دون تمييز أو تخصيص، وفي هذا تقريرٌ لمبدأ المساواة في التعامل، وهذا ما ينبغي على الراعي تجاه الرَّعيَّة في سياسة أمرها على العموم، وفي النَّصيحة والتحذير من الخطر على الخصوص[2].

دلالةُ موقع جملةِ: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾:

تنوُّعُ موقعِ الجملةِ الإعرابيِّ، مفيدٌ في تحديد المراد من الجملة

يحتملُ قولُهُ تباركَ شأنُهُ: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ أنْ يكونَ جوابًا للأمرِ، وهو ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾[3]، وعلى هذا تكونُ ﴿لَا﴾ نافيةً[4]، ويحتملُ أنْ يكونَ نهيًا بدلًا مِنَ الأمرِ؛ لأنَّهُ في معنى: لا تكونوا حيثُ أنتُم، فيحطمَكم، وذلكَ على طريقةِ قولِهم: لا أَرَيَنَّكَ ها هنا[5]،

(1) الشعراوي: تفسير الشعراوي: 17/ 10760.
(2) المراغيّ، تفسير المراغي: 19/ 129.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 356.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 242.
(5) الزمخشري، الكشاف: 3/ 356.

ومعنى هذا الأسلوبِ - وهو أنْ يُنهَى الآخرُ بينما المُرادُ نهيُ المُخاطَبِ - النَّهيُ عن أنْ يكونَ المُخاطَبُ على وصفٍ هو ملزومُ المنهيِّ عنهُ، فمآلُ المعنى: لا تكونوا خارجينَ عن مساكنِكم فيحطمنَّكم سليمانُ وجُنودُهُ[1]، فالنَّهيُ لسليمانَ وجُنودِهِ بحسَبِ الظّاهرِ، لكنَّ المُرادَ نهيُ النَّملِ، فيكونُ في الكلامِ كنايةٌ[2].

وقيلَ: الجملةُ استئنافٌ[3]؛ تكريرًا للتَّحذيرِ، ودلالةً على الفَزَعِ؛ لأنَّ المُحذِّرَ مِنْ شيءٍ مُفزِعٍ يأتي بجُمَلٍ مُتعدِّدةٍ؛ للتَّحذيرِ مِنْ فَرْطِ المَخافةِ[4].

دلالةُ تعدُّدِ القراءاتِ في قوله: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾:

قرأ رويسٌ عن يعقوب بإسكان النون: ﴿لَا يَحْطِمْنكُمْ﴾، والباقون بفتحها المشدَّدة ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾، والوجه في ذلك أنَّ النون في قراءة رويس نون التَّوكيد الخفيفة، وهي مؤكِّدة، أمّا قراءةُ باقي القرّاء بالتشديد في النون على أنَّها النون الثقيلة[5]، وهي أبلغُ في باب التأكيد من الخفيفة، والقراءتان متكاملتان في تصوير المشهد، فنون التوكيد الخفيفة تُعبِّر عن بداية مرور سليمان وجنوده، أمّا النّون الثَّقيلة؛ فهي تُصوِّر شدَّة التَّحطيم عندما يكون سليمان وجنوده في وسط وادي النمل[6].

تكامُلُ القراءتين، مفيدٌ في تصوير المشهد والحوار

دلالةُ العطفِ في قولِهِ: ﴿سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُۥ﴾:

قيلَ: قولُهُ ﷻ: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ معناهُ: لا يحطمنَّكم جُنودُ سليمانَ، فجاءَ بما هو أبلغُ[7]؛ لِما فيهِ مِنَ الإجمالِ

العُدولُ إلى أسلوبِ الإجمالِ والتَّفصيلِ، مبينٌ عن المراد

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 11/ 488.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 365.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 157، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 597.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 242.
(5) ابن الجزري، النشر: 1/ 234.
(6) الشِّيرازيّ، الموضّح في وجوه القراءات وعللها: 2/ 951.
(7) الزمخشري، الكشاف: 3/ 356.

والتَّفصيلِ، أيْ: إنَّ حَطْمَ سليمانَ يكونُ بواسطةِ جُنودِهِ، فكأنَّ ذِكْرَهُ تمهيدٌ لذِكْرِهم.

وتُعُقِّبَ ذلكَ: بأنَّ فيهِ القولَ بزيادةِ الأسماءِ، وهي لا تجوزُ، بل الظّاهرُ إسنادُ الحَطْمِ إليهِ ﷺ وإلى جُنودِهِ، والكلامُ على حذفِ مُضافٍ، أيْ: خيلُ سليمانَ وجُنودُهُ، أو نحوُ ذلكَ ممّا يصحُّ تقديرُهُ[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بالحَطْم دون غيره:

آثر القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالحَطْم دون غيره في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ لأنَّ الحَطْم في اللُّغة معناه كسْرُ الشَّيء، مثل الهَشْم، ثمَّ استُعمل لكلِّ كسرٍ متناهٍ، وهذا ما يتناسب مع النَّمل، وعلى هذا يكون المعنى: (لا يُكَسِّر عظامكم، وهو يسير من فوقكم)، وهذا المعنى لا يتأتّى إلّا من لفظ الحَطْم، بخلاف الكسر ونحوه.

تعبيرُ لفظِ الحطم، مؤكّد لنظريّة البنية الزُّجاجيّة لجسم النَّملة

دلالةُ التَّأكيد في قوله: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾:

أكَّدت النَّملة قولها التَّحذيريَّ للنَّمل، بما يُشبه القَسَم؛ ولذلك كانت اللّام، وكانت نون التَّوكيد الثَّقيلة في قوله: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾، وفي هذا دلالةٌ على يقينها بالخَطَر الدّاهم للنَّمل[2].

توالي المؤكّدات مؤذنٌ بالخطر الدّاهم

نكتةُ إسنادِ الحَطْمِ لسليمانَ ﷺ ابتداءً:

أُسنِدَ الحَطْمُ في قولِهِ ﷻ: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ لسليمانَ ﷺ أوَّلًا؛ باعتبارِهِ قائدَ الجُنْدِ، والجُنْدُ جُنْدُهُ، فهو الَّذي يُسْنَدُ إليهِ الحَطْمُ أوَّلًا وبالذّاتِ، ويُسْنَدُ إلى غيرِهِ بالتَّبعِ[3]، ولأنَّ الحَطْمَ لو وقعَ؛ فالدُّخولُ في الوادي سببُهُ، وهو ﷺ الآمِرُ بهِ[4].

نسبةُ الفعل إلى القائدِ، باعتبارِهِ الآمر والنّاهي للفاعل

دلالةُ عطف (الجنود) على (سليمان):

دلَّ عطفُ قولِهِ: ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾ على سليمان ﷺ، على أنَّ حطْمَ

بيانُ أنَّ المسؤوليَّة مشتركةٌ بين القائد وجنوده

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 221.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5444.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5444.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 366.

سليمان للنَّمل يكون بواسطة جنوده، وفي هذا إشارة إلى تحمُّله للمسؤوليَّة؛ لأنَّهم يأتمرون بأمره، فهو الذي يصدر الأوامرَ وجنوده تقوم بالتنفيذ؛ لذلك كان العطفُ لبيان الاشتراك في المسؤوليَّة، ولذلك ذهب البعض إلى أنَّ الكلامَ على حذف مضاف، تقديره: (خيل سليمان وجنوده)، أو نحو ذلك ممّا يصحُّ تقديره[1].

نكتةُ الإضافةِ في قولِهِ: ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾:

إضافةُ الجُنْدِ في قولِ الحقِّ جلَّتْ أسماؤُهُ: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ إلى الضَّميرِ الرّاجعِ إلى سليمانَ عليه السلام: للدَّلالةِ على أنَّ الجُنْدَ مملوكونَ لهُ، ومنقادونَ لطاعتِهِ، ولا يخالفونَ عن أمرِهِ.

الدَّلالةُ على التَّسخيرِ والانقيادِ، مبينة عن القصد المراد

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

الظّاهرُ أنَّ الواوَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ للحالِ، والجملةُ حاليَّةٌ، أيْ: إنْ وقعَ حَطْمٌ؛ فليسَ ذلكَ بتعمُّدٍ منهُم، إنَّما يقعُ، وهم لا يعلمونَ بحَطْمِنا؛ لصِغَرِ أجسامِنا، وفي هذا إشارةٌ إلى عدْلِ سليمانَ عليه السلام وأتباعِهِ، ورحمتِهِ ورِفْقِهِ[2]، وقيلَ: الواوُ للاستئنافِ، والجملةُ استئنافيَّةٌ، أيْ: فسليمانُ والقومُ لا يشعرونَ[3].

استجلابُ العذرِ لسليمان وجنوده، بعدم الشُّعور بالخطأ عند وقوعِهِ

دلالةُ تقديمِ المُسنَدِ إليهِ:

قُدِّمَ المُسنَدُ إليهِ على المُسنَدِ الفعليِّ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ لإفادةِ تقوّي الحُكْمِ عليهِم بعدمِ الشُّعورِ، وذلكَ مناسبٌ لمقامِ بيانِ عَدْلِ سليمانَ عليه السلام ورحمتِهِ، ووجهُ التَّقوّي: أنَّ قولَهُ: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيهِ إسنادُ عدمِ الشُّعورِ إلى (هم)، وفي ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ ضميرٌ يعودُ إليهِم، فيفيدُ إسنادَ عدمِ الشُّعورِ إليهِم مرَّتيْنِ، كأنَّهُ قيلَ: فَهُم لا يشعرونَ، فَهُم لا يشعرونَ، وفيه تعليمٌ لمبدأ حسن الظَّنِّ

إفادةُ عدلِ سليمان وجنوده، وحسن الظَّنِّ بالتماس المعاذير

(1) البحر المحيط: 8/ 221.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 221، والسّمين الحلبي، الدر المصون: 8/ 589.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 278.

والتماس العذر للآخرين من موقف النَّملة مع سليمان وجنودهِ، فهي تحذِّر، ولا تتَّهم، ولا تسيء الظَّنَّ، فهذا خُلُقٌ كريم ينبغي على البشر أن يتعلَّموه في سلوكهم، فيجمعوا بين التَّحذير والاعتذار.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾:

أهميَّةُ صيغة المضارعةِ في تصوير الحدث المتوقَّع

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على تصويرِ الحَدَثِ، وأنَّ الحَطْمَ إنْ وقعَ؛ فصورتُهُ أنَّهُ مُقترِنٌ بعدمِ العلمِ، بوجودِ النَّملِ في الوادي.

بلاغةُ الإيجازِ في قولِ النَّملةِ:

جمعَ قولُ النَّملةِ أحدَ عشرَ جنسًا مِنَ الكلامِ

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أحدَ عشرَ جنسًا مِنَ الكلامِ، وذلكَ أنَّ النَّملةَ نادَتْ، وكنَّتْ، ونبَّهَتْ، وسمَّتْ، وأمرَتْ، وقصَّتْ، وحذَّرَتْ، وخصَّتْ، وعمَّتْ، وأشارَتْ، وعذرَتْ.

فالنِّداءُ: (يا)، والكنايةُ: (أيُّ)، والتَّنبيهُ: (ها)، والتَّسميةُ: ﴿ٱلنَّمْلِ﴾، والأمرُ: ﴿ٱدْخُلُواْ﴾، والقصصُ: ﴿مَسَٰكِنَكُمْ﴾، والتَّحذيرُ: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾، والتَّخصيصُ: ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾، والتَّعميمُ: ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾، والإشارةُ: ﴿وَهُمْ﴾، والعُذْرُ: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، فأدَّتْ خمسةَ حقوقٍ: حقَّ اللهِ، وحقَّ رسولِهِ، وحقَّها، وحقَّ رعيَّتِها، وحقَّ جُنودِ سليمانَ عليه السلام[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العلم والشُّعور:

الشُّعورُ أخصُّ مِنَ العلمِ، وكلاهما لفظٌ قرآنيٌّ فصيح

فُرِّقَ بينَ العِلمِ والشُّعورِ: بأنَّ الشُّعورَ عِلمٌ يوصَلُ إليهِ مِنْ وجهٍ دقيقٍ، ولهذا قيلَ للشَّاعرِ: شاعرٌ؛ لفِطْنتِهِ لدقيقِ المعاني، ولا يُقالُ: اللهُ تعالى يَشْعُرُ؛ لأنَّ الأشياءَ لا تَدِقُّ عنهُ، وقيلَ: الذَّمُّ للإنسانِ –

(1) السيوطي، الإتقان: 3/ 184.

بأنَّهُ لا يَشْعُرُ - أشدُّ مبالغةً مِنْ ذمِّهِ بأنَّهُ لا يعلمُ؛ لأنَّهُ إذا قيلَ: لا يَشْعُرُ، فكأنَّهُ أُخرِجَ إلى معنى الحمارِ، بحيثُ لا يعلمُ مِنْ وجهٍ ظاهرٍ ولا خفيٍّ، وهو كقولِكَ: لا يُحِسُّ، وهذا قولُ مَنْ يقولُ: إنَّ الشُّعورَ هو الإدراكُ بالمشاعرِ، وهي الحواسُّ[1].

(1) العسكري، الفروق، ص: 372.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»